

صدى الذكريات

تفاعلاً مع قصيدة «معلقة الذكريات» للشاعر الأريب النجيب:

عبدالله بن محمد المقحم (أبو ثابت).

سَمَا لَكَ شَوْقٌ فِي زَمَانِ التَّوَجُّدِ وِلَاخَ شُعَاعٌ فِي ظِلَامِ التَّلَدُّدِ
وَهَاجَتْ لَكَ الذِّكْرَى وَأَذْكَى قَدِيمَهَا مُعَلَّقَةٌ مِنْ بَوَّاحِ قَلْبٍ مُعَمَّدِ
وَأَنَا تُ مَحْزُونِ الْفُؤَادِ مُعَذَّبِ وَدَمْعٌ مُعْنَى بِالْهَمُومِ مُسَهَّدِ
أَبِي ثَابِتٍ أَصْلِ الْوَفَاءِ وَأَهْلِهِ كَرِيمٍ نَمَا فِي دَوْحَةِ الْعِزِّ (أَسْعَدِي)
تَحِيرَ لَمَّا أَنْ رَأَى مَا يَرُوعُهُ وَبَاحَ بِمَكْنُونٍ عَلَى رَسْمِ مَعَهْدِ
كَمَا هَيَّجَ الْكَنْدِيُّ دَارَةَ جُلْجُلِ وَتُوضِحُ وَالْبَكْرِيُّ بُرْقَةَ ثَهْمَدِ
فَقُلْتُ مُجِيبًا وَالشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا: أَيَا شِعْرُ أَسْعَدٍ يَا قَرِيحَةَ أَنْجَدِي
وَمَا كُلُّ نَظَامِ الْكَلَامِ بِشَاعِرِ إِذَا لَمْ يُحَرِّكْ شِعْرُهُ صَخَرَ جَلْمَدِ
وَلَيْسَ سِوَاءَ مَنْ مِدَادُ يَرَاعِهِ دَمُوعٌ وَمَنْ بِالشَّعْرِ يَشْرِي وَيَجْتَدِي
أَبَا ثَابِتٍ هَيَّجَتْ بِالشَّعْرِ سَاكِنًا وَأَذْكَيتَ فِي الْأَكْبَادِ نَارَ التَّوَقُّدِ
طَوَيْتَ سِنِينَ الْعُمْرِ حَتَّى أَعَدْتَنَا لِذِيَالِكَ الْعَهْدِ الْجَمِيلِ الْمُمَجَّدِ
زَمَانًا بِهِ اللَّذَاتُ نَهْدُبُ جَنِّيهَا بِلَدَةِ نَشْوَانٍ وَهَمَّةٍ مُبْتَدِي
لِيَالِي أَنْسٍ لَمْ تَشْبُهْهَا كَابَةٌ وَأَيَّامَ صَفْوٍ لَمْ تُكَدِّرْ بِمُنْكَدِ
سَقَى اللَّهُ مِنْهَا عَهْدَهَا وَرُبُوعَهَا وَأَطْلَالَهَا غُرَّ السَّحَابِ الْمُرْدَدِ
وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا مَيْعَةٌ الْجَهْلِ وَالصَّبَا وَأَحْلَامُ رِيَّانِ الشَّبِيبةِ مُسْعَدِ

وآمالُ غرٍّ في ثَمالةِ صَبْوَةٍ
 أيا معهداً ما زالَ للعلمِ معلماً
 وإن زالَ بُنياناً سيقى معانياً
 وما بقى التوحيدُ في الأرضِ شاهداً
 أيا معهداً كم حَبْرِ علمِ حَضَنَتُهُ
 تَبَّتْ في أرجائك الفِيحِ يومَهُ
 وشيخِ علومٍ مثلِ بدرٍ تمامِهِ
 وكم عابِدِ رَبَّيْتَهُ.. كلُّ عُمَرِهِ
 وكم صَدَحَتْ بالوحيِ فيكَ حناجرُ
 وكم نُوقِشَتْ يا معهدي من رسالةِ
 وَمَنْهَلِ عِلْمٍ لا يَزَالُ نَمِيرُهُ
 تَبَدَّلَ مِنْ رَوْضَاتِهِ الخُضْرُ جَدْبَةً
 ودَوَّتْ بهاتيكِ الربوعِ رَطَانَةٌ
 وجَدَجَلْ «مَهْرَاجُ» و«غَندي» و«رَامنا»
 فيا لَكَ مِنْ ليلٍ دَجَا بَعْدَ حِقْبَةٍ
 عَسَى اللهُ يُبدي نُورَهَا ويُعيدُها

بِغِداءِ يَسْبِي حُسْنُهَا كلَّ أُغْيَدِ
 وما زالَ نِبْرَاساً لهاذِ ومُهْتَدِي
 مُشَيِّدَةً في كلِّ قلبٍ مُوَحِّدِ
 بهِ كلُّ عبدٍ في جلوسِ التَشْهَدِ
 بقيةِ أبناءِ الإمامِ المُجَدِّدِ
 تَبْتُلُهُ بالليلِ في روضِ مَسْجِدِ
 يُكَلِّلُهُ الطلابُ مِنْ كلِّ فَرَقَدِ
 نهارُ صِيامٍ أو ظلامِ التَهْجُدِ
 بقرآنِ ربي أو حديثِ مُحَمَّدِ
 وحاضرِ أربابِ العلومِ بِمَشْهَدِ
 يُزَوِّدُ أهلَ الأرضِ في كلِّ مَوْرِدِ
 يَبَاباً ودَوَى رَبْعُهُ دَوٌّ فَذَفَدِ
 مِنْ الهنْدِ بَعْدَ اليَعْرَبِيِّ المُهَنْدِ
 على دِمْنَةٍ «للشافعي» و«المُبْرَدِ»
 وشمسٍ توارتْ في غياهِبِ سَرْمَدِ
 وما زالَ مولانا يُعيدُ وَيَبْتَدِي

محمد بن أحمد الفراج

الرياض

٥ رجب ١٤٤٠ هـ